‘Yandoto Academic Journal of Arabic Language and Literature
ISSN: 2714-4712 (Print & Open Access)
https://easpublisher.com/journal/yandoto/home

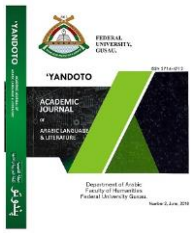

العاطفة وأثرها الفني في قصيدة نفحة المنان في مدح سيدي العدناني لمحمد الأمين عبد الله قورن والي

DAHIRU SANI
FEDERAL UNIVERSITY GUSAU – NIGERIA

الملخص:ABSTRACT

ظل الشعراء يستخدمون العاطفة كسلاح حداد في جذب انتباهات الممدوحين واثارة عواطفهم لنيل المطلوبات والمرغوبات، كما كان للعاطفة صولة وجولة في إبقاء النص الأدبى وخلوده.

فهذه المقالة عبارة عن إبراز عاطفة الشاعر محمد الأمين عبدالله قورن والى فى قصيدته "نفحة المنّان فى مدح سيد العدنانى" ومدى تأثيرها فى إثارة عواطف القرّاء والسامعين، كما تحدثت عن أسلوب الشاعر وأفكاره وخيالاته وعلا قتهم بعاطفته.

Poets for time immemorial are advanced in the display of their talent in using emotional statements or phrases as a warrior uses sharp weapons in order to attract attention of those they promises in order to get what they want and are worldly things from them.

This emotional statement help in no small measure in sustenance and document of Arabic literary texts. This paper attempts to explore emotional phrases of Malam Aminu Abdullahi Kauran Wali in his poem "Nafhatul Mannan Fi Madhi Sayyidil Adnan", its strengths and contribution to emotional feeling of listeners and readers. The paper also focused on his ways and thoughts through which he displays his emotional feelings, imaginations and their relationships with emotional phrases

المقدمة:

فإن هذه المقالة عبارة عن عاطفة الشاعر وأثرها الفنى ومدى قوتها وصدقها، وكيف استعان الشاعر ببعض العناصر الأدبية فى ابراز عاطفته وتقويتها من اسلوب وخيال وأفكار من خلال قصيدته نفخة المنان فى مدح سيدى العدنانى.

ترجمة الشاعر وأسرته:

يرجع أصل أسرة محمد الأمين عبد الله قَوْرَنْ وَالِي إلى رجل إسمه حسين،وهو من قبيلة الهوسا الساكنين في مدينة برنو.إن هذا الرجل (يعني جد الشاعر) من الشخصيات التي رفعت راية الدعوة والإرشاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، وقد كافح بقوة فمثل بذلك جانبًا مهمًا من جونب التاريخ الإسلامي ذلك الجانب الذي يبرز دور الجهاد في إعلاء كلمة الله، ورفع راية التوحيد بالرغم من الصعوبات والأهوال والأخطار.[١]

انتقل من مدينة برنو وتوجه إلى الغرب، وسكن في قرية قَارَايِ (KARAYE) وهي في ولاية كنو،وفيها ولد والد عبد الله والد محمد الأمين.

ولم يطل مكثه بـ قَارَايِ (KARAYE)حتى وافته المنية فيها، والمولود(يعنى والد الشاعر) لم يبلغ الاحتلام.[٢] وتربى والد الشاعر بعد وفاة والده على يد أمه، وهي امرأة صالحة عابدة متمسكة بالدين الإسلامي، إلى أن بلغ سن الرشد، ونضج عقله، وبعد ذلك هاجر من قَارَايِ (KARAYE) إلى مدينة سَامُرُو (SAMARU) بزاريا، وبدأ حياته الجديدة فيها.[٣]

ولادته:

هو محمد الأمين بن عبد الله بن الحسين البرناوي نسبًا،والزكزي مولدًا. ولد في السبعينيات ١٩٧١م من القرن العشرين يوم الخميس في مدينة سامرو وهي من المدن التابعة لإمارة ززّو،.تيتّم الشاعر في صباه، عندما توفي والده في تلك المدينة، فانتقلت به أمه الحنونة إلى مسقط رأسها فى قرية قَوْرَنْ وَالِى (KAURANWALI)عاش في كفالة خاله الحاج زبير بن علي.

وبعد ذلك بعثه الإمام زبير خاله إلى مدينة غسو مع أولاده للإلتحاق بمدرسة حزب الرحيم بزاوية الشيخ محمد بلاربى بن عبد القادر.[٤]

تأثر الشاعر ببعض الشعراء والمدّاحين:

والتأثر بين الشعراء ليس أمرًا غريبا منذ الجاهلية حيث تجد الشعراء يرددون الألفاظ والمعاني بعينها،وهم يحسون بذلك إحساسًا.

و يقول زهير:

ما أرانا نقول إلا معارا أو معادا من لفظنا مكروا[٥]

وتأثر الشاعر ببعض الشعراء والمداحين للنبي صلى الله عليه وسلم في الأساليب ونسق الأفكار والمعاني واستخدام بعض الألفاظ حذو ماكان هؤلاء الشعراء يقرضوا أشعارهم، ومن الشعراء الذين تأثر بهم الشاعر:

أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري صاحب "البردة" حيث يصف النار التي تعبدها الفرس في خمودها ونكودها لمعجزة ولادة النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كانت ذات لهب مدة ألف سنة.

والإمام البوصيري يقول فى ذلك:

والنار خامدة الأنفاس من أسف* عليه والنهرسا هي العين من سدم

وقوله:

كأن بالنار مابالماء من بلل * حزنا وبالماء مابالنار من ضرم

وساء ساوة أن غاضت بحيرتها * ورد واردها بالغيظ حين ظمى[٦]

والإمام البوصيري تحدث عن أحزان أهل ساوة لسبب غيض ماء البحيرة حين وردوا البحيرة ولم يجدو بها ماء.

فالشاعر يقول في نونيته "نفحة المنّان في مدح سيدي العدناني".

انهار ساوة ماءها يجري بلا * نقص وغيض دائم الأزمان

والنارقد أججت وليس يغيب عن * ها كل وقت مؤجج النيران.

طفأت وأخمد أجّها فكأنها * طفأت بماء دائم السيلان

والشاعر هنا قد تأثر بالإمام البوصيري في الألفاظ والمعاني فى قوله "وغيض دائم الأزمان" يصف حال أنهار ساوة، استخدم الشاعر لفظ انهار لاستقامة الوزن ولكن الواقع هو نهر وقوله يصف حال النيران التي تعبدها الفرس "طفأت بماء دائم السيلان".

وكل المعاني التي ساقها الشاعر هنا توحي إلى نفس المعاني التي استخدمها الإمام البوصيري في بردته،والبيتان كلاهما يتحدثان عما حدث للنيران من الخمود والإطفاء وماجرى لبحيرة ساوة من غيضان الماء.

وكذلك تأثر الشاعر بالإمام البوصيري في قصيدته "الهمزية" عندما تحدث عن سقوط إيوان كسرى وانصداعه لمعجزة الرسول صلى الله عليه وسلم استمع إليه يقول:

وتداعي إيوان كسرى ولولا * آية منك ما تداعى البناء

وقوله:

إذ أبته ليتمه مرضعات * قلن مافي اليتيم عنا غناء

وقوله:

تطرد الجن عن مقاعد للسمع * كما تطرد الذئاب الرعاء[٧]

والشاعر يقول في نونيته "نفحة المنّان في مدح سيدي العدناني":

كسرى أنوشروان فزع قلبه * من حينه لتداعى الإيوان

والمرضعات تعرضت وتركنه * من سوء حظ لازم الخسران

منع المقاعد للسماء لجنة * طردت وأبعدها عن الطيران

والشاعر تأثر بالإمام البوصيري في الألفاظ والمعاني ونشاهد ذلك في الأساليب الآتية:

- الخيال الذي استخدمه الإمام البوصيري لسقوط إيوان كسرى وهو "الإستعارة المكنية" في قوله "وتداعى إيوان كسرى" وهو نفس الخيال الذي استخدمه الشاعر في قوله: "من حينه لتداعي الإيوان".
- وكذلك تأثر الشاعر به في قوله "إذ أبته ليتمه مرضعات" والشاعر يقول: "والمرضعات تعرضت وتركنه".
- وفي قوله: تطرد الجن عن مقاعد للسمع" والشاعر يقول "منع المقاعد للسماع لجنة" والأبيات كلها تدور في فلك واحد وهو الحديث عن رضاعه صلى الله عليه وسلم، وما حدث للمرضعات عند تركه ليتمه، وطرد الجن عن المقاعد للسمع.

تعريف العاطفة:

إنه لايخفى لدى الأدباء أن العاطفة أهم عنصر من عناصر الأدب وهي أول سمة تميز بين طبيعة النص الأدبي عن النص العلمي وتؤثر تأثيرا على القارئ والسامع وتترك في قلوبهما عميق الأثر الانفعالي.

وأما العاطفة على تعريف أصحاب الفن والنقاد فهي على النحو التالي:

وأول مايلاحظ أن كلمة العاطفة يقابلها كلمة (Emotion) الإنجليزية كما يعبرها بعض النقاد بالانفعال ولكن كلمة العاطفة هي أكثر شيوعا على الألسن في الدراسات الأدبية، ولقربها من معنى الانفعال إذ كل منهما ظاهرة وجدانية كما هو معروف في علم النفس على أن المعاجم الإنجليزية تفسر كلا من الكلمتين بالأخرى فتضع أمام (Emotion) تفسرها كلمة (Sentiment)[٨]

والعاطفة هي الحالة الوجدانية التي يشترك الناس فيها جميعا مما يسمونه حزنًا أو فرحًا أو خجلاً وما إلى ذلك، والإنسان دائما يتقلب في عواطفه ولايمكن أن تمر عليه لحظة دون عاطفة فدائمًا نفرح أو نحزن أو نغضب، إلى غير ذلك من العواطف[٩].

ويرى بعض العلماء أن العاطفة هي الإنفعال النفسي المصاحب للنص فهي تحرك نفسي، بينما الفكرة شيء عقلي، فالذهاب إلى الحديقة مثلا فكرة، ولكن حب الذهاب إليها والتردد عليها في أوقات معينة عاطفة.[١٠]

وأما العاطفة على نظرية علماء النفس، ماهي إلا تنظيم مركب من عدة انفعالات ركز حول موضوع معين وصوحب بنوع معين من الخيرات السارة أو غير السارة: والعاطفة بهذا المعنى صفة مزاجية مكتسبة خاصة،

فالعاطفة إذن هي صفة انفعالية مركبة مكتسبة تتكون من مجموعة منظمة من الانفعالات ترتبط كلها بفكرة معينة أو بموضوع معين.[١١]

- ومن علماء النفس من يرون أن العاطفة: استعداد نفسي ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات معيّنة والقيام بسلوك خاص حيال فكرة أو شيء، أو هي استعداد نفسي ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات وجدانية خاصة والقيام بسلوك معين حيال شخص أو جماعة أو فكرة معينة.[١٢]

- ويبدو جليا حسب التعريفات التي سبقت،أن العاطفة ماهي إلا ميل وانفعال نفسي التي يشترك فيها الناس جميعًا،إلا أنها تختلف من أديب إلى أديب آخر،فالشعور الذي ينبعث فرحًا للأديب أو حزنا أو غضبًا، يختلف إلى أديب آخر من حيث القوة والضعف أو العمق والسطح ويظهر هذا الاختلاف حلال استخدام المعاني والألفاظ،فالشاعر الذي يشعر بألم موت ابنه تختلف ألفاظه ومعانيه عن من يتألم لموت صديقه، كذلك الشأن عن أسباب الفرح،وهي حالة وجدانية التي يبرزها الشاعر وتثير في شعور القارئ أو السامع حتى يشترك في احساسات الشاعر ووجدانه ويكون كأنه جزء من عضو الشاعر.

الأفكاروانسجامها بعاطفة الشاعر:

مناسبة القصيدة:

نظمها الشاعر لمناسبة إستهلال شهر ربيع الأول الذي هو الشهر الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم والإشادة بذكره صلى الله عليه وسلم والتذكير بما وقع في ميلاده من الإرهاصات، ثم ذكر سيرته صلى الله عليه وسلم لتكون نبراسًا للذين ءامنوا وعملوا لصالحات الذين هم المهتدون لقوله تعالى: لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا[١٣]

فالقصيدة نونية تقع في "٢٦٧" بيتًا من بحر الكامل، وعنوانها: "نفحة المنّان في مدح سيدي العدناني".

والفكرة ضرورية للأدب،فالأدباء ليسوا بلابل يغنون الشعر بدون أفكار بل هم دائما يتكلمون بمعان، وهذا ما يفرق بين الأدب والموسيقى وهي تؤثر فينا مباشرة.[١٤]

وأفكار القصيدة متسلسلة ومرتبطة بمشاعر الشاعر،والأفكار السديدة مما تعين العاطفة فى الخلود والإستمرار، كما تزيد الأدب روعة وجمالا (إذلاقوة للعاطفة ولا خلود دون مايقومها من الأفكارالسديدة)[١٥]

مطلع القصيدة:

ما هام قلبك يامحب صبابة * من شدة الأشواق ذوطيشان

ومقطعها:

صلّ على الهاديالرسول شفيعنا * مقدار قدردائم الأزمان

تشتمل القصيدة على الأفكار الآتية:

ذكر شدة شوق الشاعر ولهفه للنبي صلى الله عليه وسلم.

ذكر بعض الإرهاصات التي عند ميلاده.

ذكر رضاعه عند حليمة السعدية ثم فطامه والإشارة لما وقع عليه من شق صدره، واخراج قلبه وغسله الذي هو السبب المجبر للسيدة سعدية في إعادته إلى أهله وأسرته.

الإشادة بذكر نشأته وما تحلى به من مكارم الأخلاق حتى علا صيته بين مجتمعه حتى لقب بـ "لأمين" لأجل صدقه وأمانته.

سفره إلى الشام وزواجه بالسيدة خديجة رضي الله عنها.

- الإخبار بما أصاب الكعبة من الانشقاق لأجل السيل فأعادت قريش بنائها واختلف فيمن يمتاز بشرف إعادة الحجر الأسود ووضعه في مكانه.
- ذكر ماحصل له حين تم الأربعين من عمره من انعزاله عن الناس والتقرب إلى الله تبارك وتعالى.
- الإخبار بأسلوب دعوته سرًا فآمن به أول فريق الذي دخل الإسلام مثل أبي بكر الصديق من الرجال الكبار والسيدة خديجة من النساء وعلي ابن أبي طالب من الأولاد الصغار.
- ماقام به أول من آمن به وخليفته الأول بدوره من الدعوة إلى دين الله أبوبكر الصديق رضي الله عنه.
- ذكر مالقاه المؤمنون من الإذاية الشديدة من صناديد قريش.
- ذكر الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة واستضافة النجاشي لهم وإكرامهم وانخذال قريش ورجوعهم بخفى حنين.
- الإخبار بعام الحزن التي مات فيها أبوطالب عمّه الحميم المدافع عنه بنفسه وماله وبلسانه ثم زوجته وحبيبته خديجة رضي الله عنها.

والأفكار الشاعر كانت سديدة ومتسلسلة حيث أنه ينتقل من فكرة أساسية ويرتبطها بأفكار فرعية بدون اى نوع من الغموض وهى قد صادفت عاطفته وما يجيش فى نفسه وشعوره، وعلاقة العاطفة بالأفكار كعلاقة الرسول بالرسالة (إن كانت العاطفة رسولاً للقارئ، فإن الفكرة الأساسية فى النص هى الرسالة، ولايمكن لرسول إيصال رسالة إن لم تكن موجودة، والفكرة هى التى تساعد على بناء هيكل محدّد الأركان والزوايا،

فلا يمكن أن يكون النص عبارةً عن مجموعة من الأفكار المشتتة أو المتناقضة، بل يجب أن تكون هناك فكرة واحدة أساسية ويمكن أن يتم التطرق لأفكار فرعية مرتبطة بها[١٦]).

الأسلوب ودوره فى عاطفة الشاعر:

كل أسلوب صورة خاصة بصاحبه تبين طريقة تفكيره، وكيفية نظرته إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته، فالذاتية هي أساس تكوين الأسلوب، وهوالطريقة التي يبرز الإنفعالات والأحاسيس والعواطف الإنسانية.[١٧]

ويقول أحمد الشايب: إن الأسلوب هو الرجل يريدون بذلك أن أسلوب الأديب مرآة صافية لشخصيته وشعوره وخلقه ومزاجه وعقيدته وكل مايميزه عن سواه.[١٨]

وتعتمد قوة العاطفة وإثارة الأدب عواطف الناس أيضا على قوة الأسلوب والأديب قد يستطيع أن ينقل إلى سامعيه معانيه، ولكن لايستطيع أن ينقل عواطفه ومشاعره إلا بقوة الأسلوب[١٩]. كما كان له دورافى ايقاظ العواطف الأدبية وروعتها (... لأن إيقاظ العواطف الأدبية يستند فى أكثر الأحوال على جمال الأسلوب الذى تلبسه المعانى والأفكار)[٢٠].

ويبدو جليًا أن الأسلوب هو الميزة الواضحة التي تميز الأدباء من حيث صياغة الألفاظ والمعاني وتنسيق التراكيب والجمل وهو معيار أساسي يبيّن مختلف أحاسيس الشعراء ومشاعرهم ومدى قوة عاطفة كل شاعر.

ويتسم أسلوب السيد محمد الأمين عبد الله قورن والي بالتنويع حيث يبرز القوة والجزالة عند ما يتطلب الموقف ذلك، كما يمتاز بالرقة والجمال في موطنه أيضا، ويتجلى أسلوبه بسلاسة العبارة وعذوبة الموسيقى ويمكن ملاحظة ذلك عند تتبع الألفاظ والتراكيب.

صياغة الألفاظ:

اللفظ والمعنى من أعظم قضايا النقد الأدبي التي ناقشها جهابذة العلماء والأدباء وجعلوها عمودا أساسيا في النقد الأدبي حيث يرى بعضهم الشعر لاينفك عن دائرتي اللفظ والمعنى ولإبن قتيبة قدم راسخ في ذلك عندما تدبّر الشعر فوجده أربعة أضرب وهي:

١–ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه.

٢–وضرب منه حسن لفظه وحلا.

٣– وضرب منه جاد معناه وقصرت الفاظه.

٤–وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه٢١.

ولصاحب العمدة دعم قوى في ذالك ويقول: (اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه ويقوي بقوته،فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصًا للشعر وهُجنة عليه كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور).[٢٢]

لقد أجاد الشاعر عندما زبر الفاظ قصيدته باختيار الفاظ ذات سمة برّاقة رائعة ومصادفة لمواطن استخدامها والقصيدة تتجلى بلطافة الألفاظ وجزالة المعانى الجذّابة وحسن مبانيها لكل معنى حقها من العبارة بما يناسبها حتى برز في أحسن زيّ وأبهى صورة.

ومن ذلك قوله:

شهر الربيع بنوره تتزين الد * نيا وأخرى للنبي العدناني

أقطار دنيانا قبيل مجيئه * قد عمها دجج من الكفران

أراد الشاعر في هذا الموقف أن يعلل براعته في اختيار الألفاظ المناسبة لمقاصده فاختار لفظ "النور" وأضافه إلى الضمير العائد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بمثابة النور الذي تنكشف به حقيقة كل شيء حتى يراه كل ذي عين فقال "قد تزينت الدنيا وأخرى به فجميع أقطار الدنيا كانت قد عمها الدجج من الكفر فضاءت بمجيئه وظهر زيف الآلهة الموهومة.

إن عاطفة الشاعر هى التى تخيلت له حتى شبه النبى صلى الله عليه وسلم بالنور الذى تنكشف به ظلمات الشرك والضلالات وعن الآلهة المزعومة الموهومة التى جاء الإسلام لمحاربتها كما هو فى قوله تبارك وتعالى: الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ[٢٣]

ثم قال:

والناس سكرى بالضلال بلاهدى * كل يجول بغيّه جولان

فانظر إليه حيث استخدم اللفظ "السكران" ليبين مدى كون الناس غرقى في الضلال الذي لايرجى لهم إنقاذ منها فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم فأخرجهم من الضلال بإنارته كل شيء حتى بان على حقيقته.

من قوة عاطفة الشاعر استخدم مثل هذه الألفاظ والتراكيب التى توحى بقوة عاطفته.

صياغة التراكيب والجمل:

يسهل على من وقف على تراكيب قصائد الشاعر أن يدرك الجزالة والقوة عند اقتضاء الحاجة والرقة واللطافة حسب اقتضاء الحال فتجد الشدة والفخامة في موطنه كما تجد الرقة واللطافة والليونة في موطنه أيضا، استمع إلى قوله: حيث استخدم الألفاظ ذات جرس وتتسم بالشدة والغلظة.

يقول:

بطلوع شهر ولادة المختارفي * غسق الضلال فضاء بالنوران

فتتكّس الأصنام حين نزوله * في الحين وانسفلت عن الجدران

وتقهقرت كل الضلال وزلزلت * صرخ اللعين وباء بالخسران

استخدم الشاعر في هذه الأبيات الفاظ فخمة توحى كأنه ينحت جبل تحته ويجذب التراكيب جذبا فتحس بالعنف والقوة في تراكيبه،نلمس ذلك صراحة عند قوله "فتتكس" "وانسفلت" وكذلك في قوله "وتقهقرت" "وزلزلت".

"فتتكس" و "الإنسفال" كلمات توحى بسقوط شيء بشدة مدهشة. وكذلك في "تقهقر وتزلزل" تدل على الاضطراب الشديد الذي يزعزع ما حوله ويزيله عن مكانه.

ومن قوة عاطفة الشاعر استخدامه للأسلوب القوى والخيال الجامح حيث استخدم مثل هذه الكلمات المناسبة فى مكان لائق كما مرّ بنا قريبا.

ونلمس الرقة واللطافة حيث اقتضاء المكان اللائق بها كمواطن التغزل والتعبير عن المحبة، استمع إليه حيث يقول:

ماهام قلبك يامحب صبابة * من شدة الأشواق ذوطيشان

إن المحبة تيمتك رمتك في * أو هامها ها أنت في خيران

أم مالعينك دمعها مهراق في * خديك هطالا من التوقان

حقا لقد لزم المحب ما ترى * من حاله المضني ومن هيمان

من شوقه وحنينه لنبيّه * لاسيما شهر الولاد يداني

فعاطفة الشاعر هنا لطيفة رقيقة حيث تكلم عن المحبة وما يجيش فى عاطفته من غاية المحبة وصدقها نحو الممدوح.

الخيال وارتبا طه بعاطفة الشاعر:

هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم، وهم لا يؤالفونها عبثًا، إنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لاحصرلها،تختزنها عقولهم وتظل كامنة في مخيلتهم، حتى يحين الوقت، فيؤلفوا منها الصورة التي يريدونها، صورة تصبح لهم، لأنها من عملهم وخلقهم.[٢٤]

ومن قوة عاطفة الشاعر ارتباطها بالخيال القوى وكان للخيال دور كبير فى قوة العاطفة، كما ذكر أحمد أمين فى كتابه (النقدالأدبى) وللخيال الأدبي إرتباط كبير بالعواطف، وكلما كانت العاطفة قوية إحتاجت إلى خيال قوى يعين عليها، وضعف أحدهما يؤثر أثرا كبيرا فى ضعف الآخر[٢٥].

ومن الخيالات التي استخدمها الشاعر في هذه القصيدة حين شخص شهر ربيع الأول الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم وجعله كأنه رأس بين الشهور وقلد بالتيجان الحسن على رأسه وهو يلمع ويميزه من سائر الشهور كالرئيس بين خدمه فعبّر عن ذالك بقوله:

شهربه ساد الشهور بفضله * واستحسنت في رأسه التيجان

وقوله: يشخص شهر ربيع الأول كأنه إنسان الذي نال الناس مناهم فيه وكانوا مبتهجين بالنعم بمحيئه فقال:

مهما استهل ربيع أول اننا * نلنا المنى بقدومه غران

وكذلك في قوله يشخص الربيع كأنه فيضان من الماء يعم كل النواحي بعد اشتداد حاجة الناس إليه لذلك عبّر عنه بالغيث لأن الغيث في اللغة المطر الذي يأتي بعد اشتداد المحل واحتياج الناس، فقال:

جاء الربيع ربيع كل موفق * وربيعنا كالغيث في الفيضان

وقول الشاعر يصوّر مساوئ الأخلاق والرذائل التي تمرض القلوب المرض المعنوي من الحقد والغضب وغيرها وشخصها كأنها قحط في القلوب التي عبّر عنها بمجامع الأضغان بقوله:

جاء الربيع ربيع كل سعادة * بجلاء قحط مجامع الأضغان

ومن الخيال قول الشاعر حيث شبه حال المشرك بما يكون عليه من الضلال بالحندس بمعنى شدة ظلمة الليل الذي لايطلع الإنسان على من حوله ولا من أمامه استمع إليه حيث يقول:

جاء الربيع ربيع ماحي حندس * اللإشراك والكفران والخسران

وكذلك قوله حيث شبه المعاني الإيمانية بالرسول صلى الله عليه وسلم في قراءة سيرته وأخلاقه السنّية التي يستفيد منها القارئ والسامع عند هذا الشهر المبارك، شهر ربيع الأول،شبهها كلها بالغنائم وبالبحار التي عمت وجرت بمعينها جريانًا في كل مكان فقال:

قد سوِّغت فيه الغنائم جملة * تجري بحار معينه جريان

ومن الخيال الذي استخدمه الشاعر حيث شبه الدنيا بإمرأة غادة حسناء التي تزينت بأفحر الحلى ونفائسه فقال:

شهر الربيع بنوره تتزين الد * نيا وأخرى للنبي العدناني

ومن الخيال تشبيه حال من في الضلال بالسكران استمع إليه حيث يقول:

والناس سكرى بالضلال بلاهدى * كل يجول بغيّه جولان

مابين من عبد النجوم ومن غدى * في طاعة الشيطان ذي الطغيان

أو من تراه ملازما متعكفا * في اللات والعزى من الأوثان

وفيما سبق دلالة واضحة على إثارة عاطفة الشاعر إثارة قوية فتخيلت له فى ذهنه خيالات زينت له الأشياء المحسوسات الجمادية كأنها ذات روح حية إذ خيلت له شهر الربيع الأول بمثابة الرئيس بين خدامه وله تاج فى رأسه يصدر الأوامر والنواهى إلى أتباعه ورعاياه. ثم تخيله ايضا كالإنسان عم الناس الفرح وابتهاج بقدومه المترصد المنتظر التى يتطلع الناس إليها.

وكذالك خيلت له عاطفته أن شهر ربيع الأول كالغيث الفائض ذى سيلان الذى لايمر بشىء إلا إجتازه وذهب به وأن هذا الغيث أذهب بالقحط المجهد الذى أصاب الناس الذى تخيله الشاعر لأن مساوئ الأخلاق أشياء معنوية فألبسها الشاعر صفاة حسية التى أزالها هذا الفيضان من الماء الذى هو شهرربيع الأول.

وكذالك تخيل فى ذهن الشاعر لقوة عاطفته أن هذا الشهر بمثابة شمس الهدى التى أزالت جميع الظلمات من الإشراك والكفران والخسران وكلها أشياء معنوية لكن الشاعرصيّرها محسوسة،ومن قوة عاطفة الشاعر تخيل الدنيا بأنها إمرأة غادة حسناء التى تزينت بأفخر الثياب وأغلى الحلى.

وتخيل الشاعرما كان عليه الناس من الضلال كالسكارى الذين أذهبت بعقولهم معاقرة الخمر فصاروا فى سكرى يتخبطون فى الطرق بلاهدى.

وخلاصة القول أن إثارة العواطف وتهيج النفوس لايكون إلا بخيال قوى (الخيال وبدونه يكون من المستحيل فى أغلب الأحيان أن تستثار العاطفة)[٢٦]

الموسيقى وتأثيرها فى عاطفة الشاعر:

الشعر منذ بدايته ملتصق بالتنغيم والايقاع، وهدفه الرئيسي التعبير عن شعور الشاعر وأحاسيسه وانفعالاته، فالايقاع هو الطريق إلى ابراز طبيعة الشعر ومضامينه.

وموسيقى الشعر قد تكون ظاهرة فهذه ترجع إلى الوزن والقافية إذ تنشأ عنهما وحدة النغم والإيقاع، وتكون داخلية: وهي التي تنبع من عاطفة الشاعر الصادقة وشعورها الفياض، وسبيلها اختيار ألفاظ ذات وقع خاص ثم التأليف بينهما في صورة صوتية معينة.[٢٧]

فالشاعر اعتمد في بناء قصيدته في بعض الأبيات على الموسيقى الظاهرة في ائتلاف الوزن والقافية.

الموسيقى الخارجية:

القصيدة هي في بحر الكامل الذي وزنه:

متفاعل متفاعلن متفاعل * متفاعلن متفاعلن متفاعلن

الكتابة الإملائية:

ماهام قلبك يا محب صبابة * من شدة الأشواق ذوطيشان

الكتابة العروضية:

ما	ها	م	قل	بك	يا	محب	بصبا	بتن	
ا ٥	ا ه	ا	ا ه	ا ا	ا ٥	ا ا ه	ا ا ا ه	ا ا ه	

مستفعلن متِفا علن متفا علن

الإضمار

من	شد	د	تل	أشو		ق	ذ	و	طيشا		ني					
ا ه	ا ه	ا	ا ه	ا ه	اه	ا	ا ه	ا	ا ه	ا ه	ا ه					

مستفعلن مستفعلن مفعو لن

الإضمار الإضمار علة

ويدخل في هذا البحر الزحافات والعلل.

الموسيقى الداخلية الواضحة:

والموسيقى الداخلية في القصيدة هي مكونة في تكرار بعض الألفاظ في الأبيات نحو قول الشاعر:

جاء الربيع ربيع كل موفق * وربيعنا كالغيث في الفيضان

جاء الربيع كل سعادة * بجلاء قحط مجامع الأضغان

جاء الربيع ربيع ماحي حندس * الإشراك والكفران والخسران

والشاعر هنا يكرر لفظ "الربيع" وموسيقاه الداخلية متلاصقة بتلك الأصوات والنغمات التي تحدث نتيجة إئتلاف الحروف والألفاظ بعضها ببعض.

استخدم الشاعر فى التعبيرعن عاطفته وشاعريته وتجاربه الروحية مثل هذه البحور:

البحرالكامل،البحرالوافر،البحرالطويل، ليطيل نَفَسَه ليتمكن عن تعبيرما تضمنته عاطفته وينقلها إلى السامعين والقارئين ليشاركوه كما كررلفظ (الربيع) لدلالة على أن عاطفته فى اضطراب شديد ونظرًا لدور الحرف (الراء) الذى كان لثوي مكرر مجهور منفتح كما كان أيضا مطبق مرقق فى مواقع ومفخم فى مواقع[٢٨]، وهذ النغم الناشئ عن انسجام الحروف ضمن الكلمة الواحدة وتأليفها لتكرار حرف "الراء" يدل على أن عاطفة الشاعر مفعمة وقوية نحو ممدوحه.

وكما استخدم الشاعر الألفاظ ذات أجراس موسيقية فى قصيدته التى مدح بها سيارة شيخه فى قوله "ديرًا دريرًا" سيرًاسريرًا" وقوله."كالسريرًا" "والشُرورًا" وكل ذالك يدل على اضطراب عاطفته وقوتها.

ملامح العاطفة فى القصيدة

- العاطفة الدينية:

ماهام قلبك يا محب صبابة * من شدة الأشواق ذوطيشان

إن المحبة تيمتك رمتك في * أو هامها ها أنت في حيران

أم ما لعينك دمعها مهراق في * خديك هطالا من التوقان

حقا لقد لزم المحب كما ترى * من حاله المضني ومن هيمان

من شوقه وحنينه لنبيّه * لاسيما شهر الربيع يداني

فالعاطفة هنا عاطفة دينية لأنها منبعثة من عاطفة مليئة بالإيمان بالله ورسوله، ومحبة الله ورسوله ركن أساسي وأهم أركان الإسلام، وأقوى عمدة من أعمدة الإيمان.

فهذا الشوق والمحبة والحنين التي ينبعث من عاطفة الشاعر تثير في كل من يتلقاها حتى يكون نظير عاطفته يشاركه في الم المحبة والتوّدد والشوق، لأن الشاعر عبّر عن حال عاطفته بألفاظ فخمة نحو "صبابة" و "الطيشان" و "مهراق الدمع" و "المضني" وكل هذه الألفاظ دالة على شدة الشوق إلى الحبيب الحميم بمحبة ذات لهب التي تطلع على الأفئدة ولا يبردها برد.

العاطفة الإنسانية:

إستملكت العاطفة الإنسانية قلب الشاعر فمدح النبي صلى الله عليه وسلم لما قام به من الأعمال الإنسانية من التواضع، وعدم التكبر على الناس والصدق في القول والفعل في معاملاته مع الناس، والأمانة التي كان متصفا بها حتى سماه قومه القريشيون بالأمين، وكذلك إتصافه بالحكمة وسداد الرأي حتى جنّب قومه النزاع المشتت وسفك الدماء المتوقع، لما استعمله بينهم من حكمته وسداد رأيه.

استمع إليه يقول:

وامتاز سيدنا قبيل نبوة * بالصدق ثم أمانة وأمان

حتى سموه ولقبوه أمين إذ * كان الودائع عنده بأمان

ما ذاق خمرا مذ صباه فإنه * في الإحتفال مباعد الجسمان

حفلٍ لأوثان وخمر ميسره * حاشاه معصوما لدى الرحمان

متواضع في قومه مع رفعة * إذ ليس فيه الكبر أوطغيان

شاع الثناء عليه ثم برأيه * يستعملون أمورهم أزمان

واستحكموه لقطع كل منازعة * ما بينهم رغما من الشيطان

لما بنوا بيت الإله تناز عوا * من ذالذي يختص في الإخوان

بالوضع حجر الأسود بمكانه * فجرت نزاع بينهم جريان

والقوم كادو للجدال تفرقوا * ويكون حرب بينهم وطعان

دخل الأمين البيت فاسترضوابه * حكمًا ويطفأ لهبة النّيران

فالشاعر هنا عبّر عن حسن سياسة الرسول عليه الصلاة والسلام وسداد رأيه في قطع النزاع بمعان رائعة والفاظ جزلة التي تؤثر في عاطفة كل من يعتقد باقتداء الرسول صلى الله عليه وسلم.

- وطورا تكون العاطفة متصفة بالصدق لا سيما إذ كان الشاعر يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم كصاحب البردة أو كما يمدح المريدون الصوفيون لأشياخهم فإن عاطفتهم صادقة لأنها تصرح عن مكنونات القلب وعن عمق قرارة إيمان الشاعر، وعن تجربة حقيقة ومعاناة صادقة، استمع إلى قول الشاعر: يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ويتوسل به وبجميع الرسل والأنبياء وأصحابه صلى الله عليه وسلم.

هذا وإني بالنبي متوسل	*	وبجاهه عند العلى المنّان
بجلالة الرسل الكرام برأسهم	*	ذوالفتح والنصران والغفران
أولى العزائم والعلاء فإنهم	*	أمن لخائف مغسل الأدران
والمرسلين ذوي التداني والتقى	*	بلغو الرسالة كلهم ببيان
ما الله أرسلهم به في قومهم	*	ماصدهم كفران والنكران
وبأنبياء الله كل عابد	*	ذو القرب والتقوى كذالرضوان
أصحاب مولانا النبي محمد[٢٩]	*	أهل التقى والدين والاحسان

فعاطفة الشاعر هنا صافية صادقة صدرت من عقيدته واعتقاده كما يقول: الأستاذ على نائبي سويد في كتابه "كيف تتذوق الأدب العربي" (أن معنى الصدق الذي نتطلبه في الأدب هو: مطابقة الكلام لعقيدة المتكلم).[٣٠]

الخاتمة

حاولت المقالة – من خلال معالجتها لهذه القصيدة كشف الغموض عن موهبة الشاعر وتمكنه فى الاستخدم الألفاظ والمعانى اللائقة فى أماكنها، ومن نتائج هذه المقالة مايلى.

- قدرة الشاعر على توفير هذه الظاهرة توفيرا فنّيًا يعبّر عن إحساساته وشعوره وانفعالاته النفسية.
- أن أسلوب الشاعر في المدح يتسم بالسهولة والوضوح لبعده عن التعقيدات اللفظية والمعنوية.
- أن الفاظ الشاعر في القصائد رنانة جذّابة تلائم ممدوحه.

المراجع والمصادر:

١. حبيب سليمان كور (البدوى): تحليل إنتاجات الشيخ محمد الأمين بن عبدالله قورن والى الشعرية، رسالة الماجستير جامعة بايرو كنو، ٢٠٠٧م.

٢. حبيب سليمان المرجع السابق

٣. حبيب سليمان المرجع السابق

٤. أحمد التجاني: مقابلة أجريتها معه فى معد الشيخ عبدالله يابو زاوية غسو، ٢٦–٢–٢٠١٧م يوم الجمعة الساعة الثالثة نهارا.

٥. شوقى ضيف: العصر الجاهلي، دار المعارف – القاهرة ط٢٧– ٢٠٠٨م

٦. إبراهيم الباجوري (شيخ الإسلام): حاشية الباجوري على متن البردة، عبدالحميد أحمد حنفى– مصر. ط١، حال من التاريخ.

٧. أحمد التجاني، (أبو العباس): الارشادات الربانية، حال من المطبع والتاريخ.

٨. أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية ط١٠، ١٩٩٤م.

٩. شوقى ضيف (الدكتور): فى النقد الأدبي، دار المعارف– القاهرة ط١١،٢٠٠٤م.

١٠. محمد عبدالغنى وغيره: تحليل النص الأدبي، بين النظرية والتطبيق، مؤسسة الوراق عمان – الأردن، ط١، ٢٠٠٢م

١١. أحمد زكى صالح (الدكتور): علم النفس التربوي، مكتبة النهضة المصرية ط/١١، ١٩٧٩م.

١٢. محمد راتب النابلسى: الدراسة الفنية الموقع.

١٣. سورة الآحزاب الآية ٢١

١٤. شوقي ضيف فى النقد الأدبي، دار المعارف – القاهرة، ١٩٩٩م

١٥. أحمد أمين: النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣م،

١٦. محمد راتب النابلسى: الدراسة الفنية الموقع.

1977, 11/2/2015, 12:20pm wwww.nabils.com/blue/or/php/2art=6907

١٧. فتح الله أحمد سليمان (الدكتور): الأسلوبية مدخل نظرى ودراسة تطبيقية، دارالآفاق العربية – القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م

١٨. أحمد الشايب: المرجع السابق

١٩. أحمد أمين: المرجع السابق

٢٠. أحمد الشايب: المرجع السابق
٢١. ابن قتيبة: الشعر والشعراء: دار الحديث القاهرة، ج١، ٢٠٠٦م
٢٢. الحسن بن رشيق القيروانى: العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده، المكتبة العصرية صيدا–بيروت، ج١، ٢٠١٢م.
٢٣. سورة ابراهيم الآية ١
٢٤. شوقي ضيف فى النقد الأدبي، المرجع السابق
٢٥. أحمد أمين: المرجع السابق
٢٦. أحمد الشايب: المرجع السابق
٢٧. رمضان سعد القماطي وغيره الأدب والنصوص والبلاغة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٤٢٧م.
٢٨. الدكتور نائبى سويد: كيف تتذوق الأدب